# مقدمة

يعيش العالم اليـوم من أقصاه الى أقصاه حالة من القلق وعدم الاسـتقرار على الرغم من الـتقدم التـكنولوجـى الهائل وإذا كـانت تلك الحـالة ظاهرة بـوضوح فى دول العـالم الثالث حيث الـفقر والتخلف والتفكـك فان الدول التى تقود المسيرة الحـضارية المعاصرة ليست ببعيدة مـن أجواء هذا الاضطراب فإذا نظرنا الى المجتمع الأمريـكى نجد أنه يعيش واقع مؤلم لـم يكن يتوقعه واقع غـارق فى مستنقع من الـفساد والاجرام ينتظر الـلحظة المناسبة لـلانقضاض على قيم المجتـمع وموروثاته، وفى تقريـر لشبكة (C.N.N) ومجلة تايم الأمريكية بعد حادث (اوكلاهوما) بأيـام أكد التقرير أن ٢٧٪ من الأمريكيين يؤيدون الميليـشيات العسكـرية المتطرفة وأن عددهـا يزيد على ١٤ منظـمة يربو عدد أعضـائها عن (١١٢) ألف جندى مدربـون تدريباً عالياً كما أن المؤسـسات الأمريكية المختصة بـالقضايا الاجتماعية والاخلاقية والتربوية تقول إن ٣٥٪ من نساء أمريكا يتعرض سنوياً للاغتصاب وأن جريمة واحدة تقع كل ثـلاث دقائق، وأن الطفل الأمريكى يرى على شـاشات التلفاز ثمـانية الاف جريمـة ومائة الـف حادث عنف عـند تخـرجه من المـدرسة الابتدائـية ،وأن السبب الرئيسـى للوفيات بين الشباب والرجال البـالغين هو مرض الايدز، وأن ٦١٪ من طلاب المرحلة الـثانوية، و٣٢٪ من الطلاب الجامعـين يعترفون أنهم غشوا فـى امتحانات السنة الدراسية الماضـية تلك صور المجتمع الأمريكى من الداخل مـجتمع يخشى الزوال نتيجة انهيار النظام القيمى داخله.

أما إذا ما انتقلـنا إلى اليابان ورغم التقدم التـكنولوجى الهائل ومكانتـها الاقتصادية إلا أنهـا أيضا لـيست بـعيدة عـن هذا الانهيـار القيـمى، حيـث اهتزت مـن جراء هجـمات

الغازات السامة التى شنتها طائفة اووم شزبكيو البوزيه مما تسبب فى نشر الذعر فى اوساط المجتمع اليابانى، وقد أكدت التحقيقات أن لدى تلك الطائفة كميات كبيرة من المواد الكيماوية تكفى لقتل عشرة ملايين إنسان على حد قول إحدى الصحف اليابانية(١٨٨) كما أن حادث سقوط الشيوعية فى الاتحاد السوفيتى وفى بلاد أوربا الشرقية برغم أنه طبع بالطبعة السياسية والاقتصادية إلا أنه فى التحليل النهائى يعبر عن حاجة هذه الدول إلى نظام جديد من القيم يتفق وكرامة الإنسان.

وإذا، نظرنا إلى المجتمع الأوربى بصفة عامة، وواقع الاقليات الإسلامية وما يحدث لمسلمى البوسنة والهرسك من القتل وسفك الدماء واغتصاب للنساء ومحاولة القضاء على الهوية الإسلامية لتلك الأمة، أمام سلبية المنظمات والهيئات العالمية وعدم تحريك الضمير العالمى تجاه تلك القضية، إنما يدل فى مجمله على انهيار للقيم والاخلاقيات داخل تلك المجتمعات.

وإذا انتقلنا إلى المجتمع الإسلامى لنجد أنه ليس بعيداً عن تلك الازمة وأن كان افضل بكثير من الواقع المؤلم للدول والمجتمعات التى تتدعى قيادتها للمسيرة الحضارية.

فقد بدأت تظهر تلك الأزمة فى عالمنا الإسلامى فى صورة السلوك المنحرف من جرائم وشذوذ، وتهرب من الضرائب وفساد سياسى، وهذا السلوك يمكن أن يؤدى إلى أزمة قيمية تهدم النظام الاجتماعى، وقد تتسبب فى إثارة القلاقل أو تهدم سيادة القانون وتجعل تمسك المرء بقيمه والعمل بوحى منها أمرا صعبا عليه، فهناك أزمة خلقية يعانى منها مجتمعنا الأن تتمثل فى عدم التمييز بين ما هو صواب وما هو خطأ وعدم معرفة ما يتعين على الناس أن يتمسكوا به من مبادىء وقيم وعجزهم عن تطبيق مثلهم الخلقية فيما يتعرضون له من مواقف ومن هنا بدأت مشكلة القيم تفرض نفسها، بل يكاد الاهتمام بها يكون من أهم المشكلات التى تواجه المجتمعات بل ويمكن القول بأن الكثير من مشكلاتنا المعاصرة هى مشكلات أخلاقية تعكس خلفها أزمة قيمية تهدد تلك المجتمعات.

وبدأ التساؤل يـدور حول كنهها وطريقـة نقلها وكيفية أكـتسابها ومدى الثقـة فيها من جانب من يقومون بنقلها إلى الآخرين.

من هنا بـدأت التربية تتحـمل المسئولية فـى حل تلك الأزمة القيـمية التى تعانـى منها المجتمـعات بصفة عـامة، ولذلك أكد «عـلماء التربـية» منذ زمن بـعيد على أن الاهـتمام بتنمية الجانب القيمى يمثل وظيفة أساسية للتربية.

فالتربية فى جوهرها عملية قيمية تسعى المؤسسات التعليمية إلى غرسها لدى أبنائنا بل أن أهم ناتج للـتربية هو أن تتخـذ لها مجموعة مـن القيم البنـاءة الدائمة التى تخـضع لها الجماعـة وتنظم حولـها حياة الأفـراد والجماعات، وما لـم يحقق التـعليم والـدراسة هذا الهدف فإن فـائدة المعارف والمهارات المكـتسبة تنعدم، فـالشخص المتعلـم الذى لا توجه معارفه وقدراته نحو أهداف قيمية يتخذها لنـفسه، يصبح خطرا على نفسه وعلى المجتمع على حد سواء، ومـن الملاحظ أن عملية البـناء القيمى ليست مـسئولية مؤسسة اجـتماعية بعينهـا أو منهج دراسى بعينه ولكـنها مسئولية كل مـن له علاقة بعملية التـربية سواء فى إطار الأسـرة أو المدرسة أو أى مؤســسة ومن خـلال كافة الوسـائل المتـاحة للفـرد فى أى مجال وعلى أى مستوى. ومادة التاريخ الإسلامـى كمادة دراسية لها دورها فى هذا الشأن بل هى ليـست بمنأى عن هذا الأمـر فهى مادة دراسية فـى الجدول الدراسى. ولها وظـيفة أساسية فى بناء النظام القيمي.

إن التاريخ الإسلامى ليس فرعا من فروع التـحصيل يدرس لذاته ولكنه نوع من أنواع المعرفة يفيـد الناس فى حياتهم اليومـيـة، ويذكـر «المسعودى»: «أن التاريخ علم يـستمتع به العالم والجاهل، ومكارم الأخـلاق ومعاليها منه تقتبس، وأداب سياسـة الملوك وغيرها منه تلتمس»، ويـقول «ابن خلدون» عن التاريـخ: «أن فن التاريخ فن غزير المـذهب، شريف الغـاية، اذهو يـوقفنـا على أحـوال الماضين من الأمم فـى أخلاقهـم والأنبيـاء فى سيـرهم والملوك فـى دولهم وسياسـتهم حتى تتـم الفائدة والإقتـداء فى ذلك لمن يرويـه فى أحوال الدنيا والدين» ويـؤكد «المقريزى» أن فائـدة التاريخ فى أنـه يجعل المرء يشـرف فى وقت

قصير على ما كان، فتتهذب بتدبر ذلك نفسه، وترتاض أخلاقه فيحب الخير ويفعله ويكره الشر ويجتنبه[٢١] ويذكر «ابن الأثير»: أن المغزى من دراسة التاريخ جعلها منافع دنيوية وآخروية أما الدنيوية فإن الملوك ومن إليهم الأمر والنهى إذا وقفوا على جانبها من سيرة أهل الجور والعذوان ورأوها مدونة فى الكتب يتناقلها الناس فيرويها خلف عن سلف ونظروا إلى ما أعقبت من سوء الذكر وقبح الآخروية وخراب البلاد وهلاك العباد وذهاب الأموال وفساد الأحوال إستقبحوها وأعرضوا عنها وطرحوها، وإذا رأوا سيرة الولاة والعارفين وحسنها وما يتبعها من الذكر الجميل بعد ذهابهم وأن بلادهم وممالكهم عمرت وأموالهم درت استحسنوا ذلك ورغبوا فيه وثابروا عليه وتركوا ما ينافيه. وأما الآخروية فإن العاقل اللبيب إذا تفكر فيها أى تقلب الدنيا بأهلها وتتابع نكباتها على أعيان قاطنيها وأنها سلبت نفوسهم وذخائرهم وأعدمت أصاغرهم وأكابرهم فلم تبق على جليل ولا حقير ولم يسلم من نكدها غنى ولا فقير زهد بها وأعرض عنها وأقبل على التزود للأخرة منها ورغب فى دار تنزهت عن هذه الخصائص وسلم أهلها من النقائض[٢٢].

من هنا نجد أن مادة التاريخ الإسلامى تعنى بالمكان والزمان وتفاعل الإنسان معه ونواتج هذا التفاعل وبالتالى فهى تعنى بدراسة القيم طالما هناك بشر ومكان، فالانسان هو الذى يتخذ القرار استنادا على مفاهيم معينة، وقيم خاصة، من هنا تكون ضرورة توجيه الاهتمام المقصود من خلال تدريس التاريخ بالقيم بحيث تكون بمعناها الواسع تربية بيئية اجتماعية تستهدف فى جوهرها الإعداد للمواطنة السليمة.

كما أن دراسة التاريخ الإسلامى تهتم بدراسة الطبيعة الإنسانية فى مواقف متعددة، وعلاقات مختلفة واتصال الطلاب بشخصيات الماضى كالأنبياء والملوك والقادة والزعماء وغيرهم وهذا يولد لديهم الشعور بالعطف والاعجاب والتقدير لبعض هذه الشخصيات العظيمة، وتضع أمامهم أمثلة حية للتفانى فى خدمة المجتمع والنهوض به والتضحية فى سبيله. وتعد الخبرة التاريخية للأمم من مصادر القيم التى يمكن الرجوع إليها لاستخلاصها، هذا بالإضافة إلى تلك المصادر الأخرى من القرآن الكريم والسنة النبوية،

وهذه المصادر متصلة لا يمكن فصل بعضها عن الآخر، فالتاريخ الإسلامى وما يحمله من خبرة تاريخية ما هو إلا تاريخ تطبيق هذا الدين ، وأن القصص القرآنى وما يتضمنه من مواقف وأحداث إنما هى مواقف وأحداث مرت بها تلك الأمة الإسلامية من لدن آدم عليه السلام حتى البعثة النبوية للرسول الكريم، فإذا كان التاريخ والخبرة التاريخية أحد مصادر اشتقاق القيم فهذا يؤكد أن التاريخ الإسلامى من أقوى المناهج الدراسية لتنمية القيم عند الطلاب إذا ما أحسن استغلاله بداية بتحديد أهدافه وحتى أساليب تقويمه.

إن العلاقة بين التاريخ الإسلامى والقيم علاقة واضحة، فدراسة التاريخ الإسلامى تكسب الإنسان مهارة التفكير والتعليم من الأخطاء من خلال فحص الروايات ونقدها والوصول إلى الحقيقة فضلا عن الاستقراء والاستنباط واكسابه فضائل خلقية كثيرة كالصدق والجد والمثابرة والدقة والتجرد من الأهواء وميله لتحقيقه والشعور بالمسئولية وغيرها من القيم والمهارات العقلية العليا.

بل أن التاريخ الإسلامى يطل علينا من نوافذه المتعددة بأمجاده وتقاليده وبطولاته وهذا من أهم مقومات دعائم الوحدة والقوة، وعندما نسأل عن أسباب وعلل النكبات والمآسى والأخطاء التى حدثت لنا أنفسنا نرجع بدون وعى إلى التاريخ لنستخرج منه القيم والأخلاقيات التى أدت إلى بناء الحضارات وزوالها وهذا يؤكد أن التاريخ الإسلامى من خلال تعرضه لسير الأنبياء والخلفاء الراشدين وحياة القادة والزعماء وحركة طور الحضارات يهدف إلى غرس مجموعة من القيم لدى الطلاب كتنمية الولاء للوطن والاعتزاز به والتضحية فى سبيله وغير ذلك من القيم، كما أنه يهدف إلى مساعدتهم فى أن يسلكوا سلوكا رشيداً إزاء المواقف والأشياء والأشخاص فى بيئتهم المحلية بمعنى أن يكونوا قادرين على تطبيق القيم الاجتماعية والدينية فى حياتهم. فالتاريخ الإسلامى بحكم طبيعته يعد مسئولا مباشرا عن تنمية الحساسية الاجتماعية والسلوك الاجتماعى السليم لدى المتعلمين وبذلك فهو مادة دراسية منوطة بغرس القيم.

ورغم أهمية التاريخ الإسلامى ودوره فى غرس القيم إلا أن واقع مناهج التاريخ

الإسلامي تشير إلى عكس ذلك، حيث مازالت تلك المناهج بعيدة عن غرس القيم لدى أبنائنا، وهذا ما أكده واقعنا التعليمي وهذا يجعلنا فى حاجة إلى مراجعة النظام القيمى لدى الأبناء وهو ما تلعب التربية دورا بارزا فى مواجهته، ومن وسائل التربية فى ذلك المنهج الدراسى وخاصة منهج التاريخ الإسلامى الذى يستطيع أن يلعب دورا فى حل تلك الأزمة.

وسوف نحاول إبراز دور مناهج التاريخ الإسلامى فى غرس القيم لدى الطلاب. حيث يتم تحديد القيم التى يجب أن يتضمنها منهج للتاريخ الإسلامى والتى سوف تُعد إطارا شاملا يستعان به فى تخطيط المناهج الدراسية، وفى تحديد المدى والتتابع الذى ينبغى الاعتماد عليه عند وضع أى قدر من القيم فى أى منهج من مناهج التاريخ الإسلامى فى مراحل التعليم المختلفة، إضافة إلى نموذج قائم على الأسلوب العلمى لتنمية القيم، وهو ما يمثل إطارا يمكن الاعتماد عليه والاسترشاد به فى بناء نماذج آخرى من هذا النوع، وهذا النموذج بكل ما يشمله من عناصر ومكونات يعبر عن العلاقات الشبكية بين تلك العناصر والمكونات ويظهر العلاقة بينهما مما يساعد المخطط والمنفذ على أن يكونوا أكثر فهما ووعيا بعملية تنمية القيم نظريا وعمليا. كما أننا سوف نحاول إلقاء الضوء على أن مكانة المعرفة فى العملية التربوية وكيف إنها وسيلة لبناء القيم وليست غاية فى حد ذاتها فلو أن التربويين اتجهوا إلى تعليم المعرفة لذاتها فليس هناك ما يؤكد أن ذلك سوف يؤدى إلى تكوين القيم المرغوب فيها، بينما إذا اتجهوا إلى بناء القيم مباشرة لكانت المعرفة وسيلة لبنائها.

وأخيرا لا يسعنى إلا أن أتقدم بخالص شكرى وتقديرى إلى أستاذين جليلين الأستاذ الدكتور أحمد اللقانى مقدم هذا الكتاب والأستاذ الدكتور يحيى عطية سليمان أستاذ المناهج وطرق التدريس بكلية التربية جامعة عين شمس لما بذلاه من جهد منذ أن كان هذا الموضوع فكرة حتى خرج فى صورته هذه.. فلهما منى جزيل الشكر والتقدير عرفانا منى بالجميل.

د/ على الجمل

المدرس بقسم المناهج وطرق التدريس

كلية التربية، جامعة عين شمس

رمضان ١٤١٦

يناير ١٩٩٦